دراسات المستشرق البريطاني
كليفورد ادموند بوزورث
للفرق والطوائف الدينية في الدولة الغزنوية

أ.د زكية حسن ابراهيم الدليمي
الباحث زهير يوسف عليوي

دراسات المستشرق البريطاني
كليفورد ادموند بوزورث
للفرق والطوائف الدينية في الدولة الغزنوية

أ.د زكية حسن ابراهيم الدليمي

الباحث زهير يوسف عليوي

الملخص:

يعد المستشرق كليفورد ادموند بوزروث واحد من اكبر رجال مدرسة الاستشراق البريطاني، فهو مستشرق متخصص في التاريخ الاسلامي وقد كتب اغلب ابحاثه ان لم تقول جميعها عن تاريخ الدولتين الغزنوية والسلجوقية اذ تناول فيه الجوانب المهمة التي لم تدرس بشكل مفصل عنها فراح مركزاً على التنظيمات العسكرية والاجتماعية والنشاط الاقتصادي للغزويونين والسلاجقة.

هذا البحث يلقي الضوء على اراء المستشرق بوزورث للفرق والطوائف الدينية الخاص بالدولة الغزنوية ، باعتبارها تمثل الجانب المهم للحياة الاجتماعية والدينيه الخاصة بالدولة الغزنوية متظمناً الحديث عن فرقة (الكراميه والصوفيه ثم الشيعة واهل الذمه) فكانت هذه الفرق تلعب دورا كبيرا في الحياة الدينية للمجتمع الغزنوي ، وقد ركز بوزورث في حديثه عن علاقة الدولة الغزنوبية مع تلك الطوائف ودور السلاطين في كسب رجال الدين عن طريق رعايتهم للعلماء والطبقة المثقفة في المجتمع الغزنوي .

ونظراً لأهمية اراء المستشرق بوزورث فقد جاء البحث ليركز على اهم الاراء والتفسيرات التي طرحها من خلال تناوله اهمية تلك الفرق حسب اهمية كل فرقه.

فرقة الكُراميه:

شكلت فرقة الكرامية تأثيراً واضحاً في الحياة الدينية والسياسة للدولة الغزنوية،وقد اكتسبت هذه الفرقة الشهرة في العالم الاسلامي وخاصة في خراسان التي اصبحت مركزاً لقادتها منذ القرن الثالث الهجري[١].واصبحت كطائفة ركيزة صلبه للسلطان محمود الغزنوي[٢] اذ اصبح الكثيرون من المهتدين الاتراك اعضاءً لفرقة الكراميه ومن بينهم كان السلطان محمود الغزنوي نفسه[٣].

تنسب هذه الفرقه الى مؤسسها وهو أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني المتكلم العابد [٤]،وقد اختلفت ألآراء في معنى النسب اليه فيقول السمعاني:(الكرامي بضم الكاف وتشديد الراء المهمله، وهذه النسبه إلى ابي عبد الله محمد بن كرام النيسابوري ، وكان والده يحفظ الكرم فقيل له الكرام ، وعالم لايحصون بنيسابور وهرات ونواحيها على مذهبه، يقال لكل واحد منهم الكرامي).[٥] كما فسر الاسم على إنه يعني(إبن تاجر الخمر)[٦]، ولكن ابن حجر العسقلاني شكك في صحة ذلك النسب إذ يذكر بان اباه لم يكن تاجراً للخمر وإن الكراميين قد انكروا ذلك، كما يقول إن كرام على لفظة كريم[٧] .

ولد في زرنج، ونشأ في سجستان،ثم دخل بلاد خراسان ،وسافر الى

مكه وبقي بها خمس سنين ، وهناك شاعة بدعته فسجن بتهمة الهرطقه على يد طاهر بن عبد الله، فلما اطلقوا صراحه ذهب الى الشام ومن ثم الى نيسابور ،وهناك حبس ايضا لمدة ثمان سنوات، وحين اطلق صراحه تحول فسكن بيت المقدس(٨).

يرُجع الاشعري فرقة الكراميه انها فرع من المرجئه فيقول:(الفرقه الثانيه عشر من المرجئه هي الكراميه، اصحاب محمد بن كرام يزعمون ان الايمان هو الاقرار والتصديق بالسان دون القلب ، وانكروا ان يكون معرفة القلب او شي غير التصديق باللسان ايمانا ، وزعموا ان المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)كانوا مؤمنين على الحقيقه ، وزعموا ان الكفر بالله هو الجحود والانكار له باللسان)(٩) .

عن اهمية هذه الفرقة يؤكد بوزورث بقوله:(ان المؤرخ الذي يعني في مجال المشرق الاسلامي في الحقبه ما بين القرن التاسع والحادي عشر غالباً ما يتطرق الى مذهب الكرامية، فقد كان هذا المذهب قوياً وعنيفاً خاصة في خراسان ، وبالرغم من ان بارتولد وصف المذهب بالزهد والتقوى **(Piestistic)** لكن المذهب في الواقع كان نشطاً ومتميزاً بتعرضه لرحمه الظلم والاضطهاد)(١٠).

وفي الواقع ان الحركة بداءت دينية ثم تطورت حتى اصبحت سياسية الا انها من خلال ممارساتها فيما بعد اصبحت تمثل نوع من الاضطراب بالنسبة للسلطة الغزنوية اذ بقيامها بقتل علماء الصوفية والاعيان من بقية المذاهب، اصبحت تمثل نموذج الاضطراب في المجتمع ولعل ما قاموا به من قتل ابن فورك(*) غير موقف اهل نيسابور عنهم بالكامل .فبعد ان اتهموه

بالقرمطة اثار الاستياء من قبل السلطان محمود الغزنوي والقاضي صاعد فغير السلطان محمود سياسته نحو الكرامية(١١).

لقد بالغ بارتولد في وصف فرقة الكرامية بالزهد والتقوى ولم يقف الحد عند ذلك بل يؤكد ان الفقهاء اتهموا الكرامية بالقول والتجسيم فهو القائل (بعض الفقهاء اتهموا بالقول والتجسيم وقد عرفت الطائفة بالمغالات في التعصب وكان ابو بكر اليد اليمنى للسلطان في قمع الملحدين)(١٢)

ان الكرامية في كتب الفرق تصنف من الصفاتية فيقول الشهرستاني عنها (اصحاب محمد بن كرم، وانما عددناه من الصفاتية لانه كان ممن تثبت الصفات الا انه ينتهي فيها الى التجسيم والتشبيه)(١٣) فأصحاب الكرامية كانوا ممن ادعى التجسيم والتشبيه، ولم يكن ذلك اتهاماً من قبل الفقهاء عليهم كما يرى بارتولد بل هي حقيقة ثانية .

وقد يختلف بوزورث عن بارتولد في هذه الراي فهو القائل (وفي نيسابور قد احدث الكرامية على الاقل اضطراباً اجتماعياً وسياسياً كبيراً اما المراجع في تاريخ المذهب اكثرها سنية وهي تعتبر مبادئ المذهب الكرامي وتعاليمه الدينية (نصية) فجه، وان جارينا هذه المحاباة في الوصف فان هذا المبدأ وزعمائه يظهرون عند سنوح الفرصة لهم بمظهر قوة دفاعية عنيفة)(١٤).

وبهذا الوصف فإن فرقة الكرامية كانت تمثل نموذج للاضطراب السياسي والاجتماعي في مدينة نيسابور كما انها كثيرا ما كانت تلجأ الى استخدام العنف ضد كل من يحاول الوقوف في طريقها ولذا يمكن القول بان خراسان شهدت على يديها ثورة اجتماعية ودينية وسياسيه استمرت ما يقارب من قرن من الزمن(١٥).

يؤكد بوزورث ان تعاليم محمد بن كرام احدثت تأثيراً واضحاً في مجتمع نيسابور وخصوصاً اراءه التي ذكرها بكتابة عذاب القبر، الذي وان لم يصل الينا لكنه احدث تأثيراً عظيماً في الاسلام آنذاك(١٦).

فمن الواضح ان آراء محمد الكرامي واتباعه انما كانت بدعة استهوت مريديه فيذكر عنه (انه تبعه على بدعته من اهل سواد نيسابور شرذمة من اكرة القرى والدهم، وضلالات اتباعه متنوعة انواعاً لا تعد اربعاً ولا اسباعاً بل الالاف الآفاً)(١٧) ويعزز هذا الرأي المستشرق آدم متز بقوله: (ان الكراميه كانوا جماعه من المتسولين وقد دعوا الى الزهد،وترك الكسب الدنيوي ،وانهم لايخلون من اربع خصال :التقى، والعصبيه ،والذل ،والكديه)(١٨) .

وعلى الرغم من غرابة افكارهم الا انهم استطاعوا من ان يحصلوا على تأييد غالبية سكان نيسابور اذ كان جل اتباعهم الحياكين والفلاحين وآخرين من الطبقات الاخرى الواطئة(١٩).

يقدر بوزورث اسباب انتشار الكرامية في المشرق بقوله:(ان تقبل الكرامية في الشرق ربما يعود الى انفصالهم النسبي عما هو مقرر في الدين الاسلامي الذي كان بالنسبة للجماهير الايرانية مجرد مظهر ديني للطبقة العربية الحاكمة،اما بالنسبة للملاكين الفرس وطبقات الموظفين جعلوا من الكرامية ذريعة لهم، ومن الممكن أن نلاحظ ايضاً ان الكرامية لم تظهر كمذهب ديني فقط بل كمدرسة فقهية ايضاً وعلى الرغم من الاستهجان الحكومي الذي لاقاه المذهب فانه اصبح وطيد الاساس في نيسابور في تاريخ مبكر)(٢٠).

ويبدو ان لأثرها في المجتمع الخراساني السبب وراء توسع عقائدها

واصبحت تعد مدرسة وليس مذهب ضيق النطاق، ونتيجة لذلك النجاح الذي حققته الكرامية فان بوزورث يرى ان سبب النجاح انما يعود كون معتنقيها كان غالبيتهم من التجار واصحاب الحرف وهذا يفسر كيف ان الجماعات الكرامية تمكنت من على مشوقات لطبقات اخرى غير الطبقات الدنيا(٢١).

ومن الثابت ان تعاليم ابن كرام استهوت الطبقات الفقيرة بالدرجة الاولى فانضم اليه عدد كبير من اهالي نيسابور مدفوعين بما كانوا يرونه على شيخهم من مظاهر التنسك والتأله والتعبد واتباعه بدورهم شكلوا دعامة اساسية للدفاع عن عقيدتهم على ان السبب كونهم من فئات مختلفة في المجتمع سواء التجار والصناع واصحاب الحرف الاخرى، كما ان تعاليمه تبلورة على شكل حركة تبشيرية في انحاء واسعة من البلاد الاسلامية(٢٢).

اما عن علاقة الكرامية بالدولة الغزنوية فترجع منذ ايام ولاية سبكتيكين في خراسان زمن السامانيون إذْ أثرت مبادئ محمد بن اسحق عليه وتركت انطباعا عنيفاً عنده وقد اعتنق سبكتكين مذهب الكرامية، كما كان محمد ابن اسحاق زاهدا وقياديا معروفا قي المجتمع النيسابوري (٢٣).

وما إن جاء السلطان محمود حتى أظهر ميله نحوهم فمنحهم تأييده وإستخدمهم كقوة ضاربة ضد المتطرفين وأستفاد أبو بكر محمد من هذا التشجيع ليسير قدماً بتحقيق مشاعره واطماعه الشخصية وليظمن نفوذ السلطته الدنيوية الى جانبه ويهيمن على الطبقة الغنية وعدد من علماء نيسابور(٢٤).

ونتيجة لما قدموا من خدمات وجهود للسلطان محمود الغزنوي فقد كافئهم السلطان، فبعد الدور الذي لعبه ابو بكر الكرامي في الصراع ضد القراخانيون ذلك عندما قام القراخانيون باحتلال نيسابور تمكن القراخانيون من

اختطاف ابو بكر الكرامي لكنه نجا من الحبس هذا الموقف عزز مكانته عند السلطان محمود فاختاره لمنصب الرئاسة في نيسابور ومنحه سلطات مطلقة في المدينة[٢٥].

يرى بوزورث ان تبوأ الكرامية منصب الرئاسة في نيسابور من قبل السلطان اضاف لمحمد بن كرام سلطة دنيوية الى جانب سلطته الدينية بصفته رئيساً للمذهب الكرامي وبدأ الآن يعد نفسه في تنفيذ واجبات السلطان وخاصة في تعقب اثر مؤيدي الاسماعيلة[٢٦].

يمكن القول من خلال ذلك ان السلطان محمود ارادهم وسيلة لقمع حركات التمرد والعنف وهو قد يكون اختلف عن والده في اعتناقه مذهب الكرامية فلم يكن تبنيه للمذهب تابعاً من قناعته بعقائدهم بقدر ما كان يريد ان يجعلهم يد ضاربة ضد الاسماعيلة وغيرهم ومما يعزز رأينا هذا ان السلطان غير موقفه عنهم بمجرد اطلاعه على مبادئهم وتعاليمهم واصبحو من الفرق الخارجية عنده وامر بتطهير خراسان من الكرامية.

يقول بوزورث عن نهاية الكرامية (هكذا كانت نهاية ما عرضته الكرامية من ثمن من اجل السيطرة على السلطة الدنيوية في نيسابور ولم يعد للكرامية فرصة اخرى مناسبة لان تظهر نفسها على مسرح الوجود ثانية... السلطان محمود كبح جماحهم وضربهم عندما حاولوا تأسيس (ثيوقراطية دينية) خاصة بهم في نيسابور والتي تكون على غير وئام واتفاق مع القاعدة الدنيوية للدولة الغزنوية[٢٧].

لقد اصاب بوزورث بتقيمه نهاية الكرامية، فمن الملاحظ على تاريخ الحركة منذ نشأتها حتى نهايتها كان طابعها العام يتسم بالعنف والهيمنة وقد

ابتعدت عن المسار الديني باتباعها مذهب التجسيم والتشبيه مما اثار عليها غضب الفرق الاسلامية الاحناف والشافعية كما ان مقاصدها بالدرجة الاساس كانت الحصول على السلطة الدنيوية .

يعلق بوزروث على رأي بارتولد القائل بان القاضي صاعد وابو بكر الكرامي اصبحوا اصدقاء الى الابد بعد هذه الاحداث مستبعداً هذه العلاقة فيقول (من غير المحتمل رأي بارتولد ان القاضي صاعد وابو بكر محمد الكرامي اصبحوا اصدقاء ثانية الى الابد، بالعكس، نحن نعلم ان العداوة بين العائلتين استمرت بعد ثمانون سنة طبقاً لا ابن الاثير في حوادث سنة ٤٨٨هـ فان النزاع الاهلي بين الحنفية والشافعية قاد القاضي ابو سعيد بن صاعد وامام الحرمين والكرامية في الجانب الاخر بقيادة محمشاد الذي انتهى بقتل الكثيرين وتهديم مدارس الكرامية، وقد استمرت الكرامية طائفة في خراسان وما وراء النهر حتى القرن الثالث عشر)[٢٨].

يتضح مما ورد ان بوزورث لا يؤيد بارتولد كون الكرامية فرقة تمثل الزهد والتقوى ولو انه ايده باعتبار المؤرخون كانوا ممن شوه صورة هذه الفرقة،ولكن تصويبات بوزورث هنا كانت اكثر دقة وتحليل من اراء بارتولد.

الصوفية:

حظي رجال التصوف باحترام كبير من قبل الناس والامراء والسلاطين في العصر الغزنوي لابتعادهم عن المجالات المذهبية[٢٩].

كما ورغبت بعض فئات المجتمع الخراساني في الانضمام او مساعدة حركة التصوف نتيجة للصراعات الدينية والاضطرابات السياسية التي عانت

منها خراسان وخاصة في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي[٣٠].

يركز بوزورث على اهمية الشيخ ابو سعيد المهيني ودور طلابه في تطور الحركة الصوفية في المشرق الاسلامي[٣١] اما عن اصل التصوف ونشوءه في خراسان وبلاد فارس بشكل عام فيؤكد بوزورث شأنه شان بقية المستشرقين الذين سبقوه امثال جولدزيهر و نيكلسون[٣٢] من ان التصوف في المشرق الاسلامي قد تأثر بتعاليم بوذا[٣٣].

وبوزورث لم يعطي توضيحاً لسبب اعتقاده بان الصوفية في الاسلام قد تأثرت بالبوذية ، كما وفي الوقت نفسه هذا المزج بين الرجل المسلم الصوفي والزاهد وحياة بوذا لا يمكن ان تكون الدليل القاطع على تأثير البوذية في الحركة الصوفية لدى المسلمين فبالرغم من ان البوذية قد سأدت في خراسان قبل الفتح العربي الاسلامي بالف عام كما سادت في بلاد فارس الشرقية عموماً فان العامة من المسلمين ينظرون الى اتباع بوذا كمشركين ووثينون فليس من قريب ولا من المحتمل ان يتأثر المسلمون بتعاليم بوذا[٣٤]

ان ادعاءت المستشرقين من ان التصوف نشأ بوذياً ياتي كون ان الديانة البوذية كان لها اثر ملحوظ في بلاد فارس وما وراء النهر، اذ يؤكد نكلسون بوجود صوامع بوذية مزدهرة في مدينة بلخ كما ان بلخ اشتهرت بعدد من الصوفية اتخذوها مقرا لهم (أي مدينة بلخ)، مقاماً لهم، يضاف الى دور الزاهد الصوفي ابراهيم بن ادهم[*]الذي كان اميراً لبلخ وتخلى عن عرشه واضحى دروشياً متنقلاً[٣٥].

وعلى الرغم من تأكيدات المستشرقين وتكرارهم بربط التصوف بالبوذية الا ان هناك خلافاً اصيلاً بين الصوفي والبوذي، منهما في روحيهما

متعارضان البوذي يقوم نفسه بنفسه اما الصوفي فيقوم نفسه بمعرفة ربه وحيه(٣٦).

يركز بوزورث في حديثه هنا عن شخصية ابو سعيد بن ابي الخبر فبعد ان يتحدث عن حياتة يتطرق الى مكانه الشيخ في الدولة الغزنوية وبين رجال التصوف ، يذكر عنه ان الصوفيين كانوا متحدين حول شخصية الشيخ، وان شعبيته ومكانته في نيسابور اثارت شكوك الاعيان والعلماء كما ان العلماء من وجهه النظر المذهبية كانوا مرتابين من رجال التصوف(٣٧).

وفي الواقع هذا الموقف من قبل العلماء والاعيان عرض الشيخ ابو سعيد وطلبته الى الاصطدام باصحاب المذاهب والفرق فكان من نتيجة روح الحقد والبغضاء ان قام العلماء والاعيان بمراقبة الصوفية وحركاتهم وقد حدث خلاف وصل الى حد الفداء بين الشيخ ابو سعيد ممثل الصوفية وابو اسحق فحمشاد ممثل الكرامية والاحناف وممثلهم القاضي صاعد وذلك عندما ما جاء الشيخ ابو سعيد الى نيسابور واتجه نحوه الناس رسالة الى السلطان محمود الغزنوي قائلين قد جاء الى هنا رجل من ميهنة يدعوا الى الصوفية ويتحدث في المجالس ويرقص ويامر الشباب بالرقص وقد التف حوله الناس وضلوا الطريق ووقع اكثر العامة في الفتنة، فامر السلطان بان يجتمع ائمة الفريقين الشافعية والحنفية لينظروا امره(٣٨).

يركز بوزوث على هذا الموقف معتبراً ان العداوة ظهرت نتيجة لزيادة الاتباع والمريدون للشيخ اضافة الى الحياة المترفة له ، والتركيز على الرقص بدلاً من تعلم المذهب السني، كما يعلق على اراء نيكلسون عن هذه القصة قائلاً (يعتقد نيكلسون ان هذه القصة قد لا تكون خيالية كلياً وهو (أي نيكلسون)

يعكس التوتر بلاشك الذي كان عنده موجود بين الشيخ والعلماء السنة، امثال نيكلسون، ويعتقدون ان تسميتهم حقيقية،ان سياسة الدولة الغزنوية كانت تشجع أي شكل للمذهب السني، الذي يمكن ان يلعب دوراً في ضمان الاستقرار السياسي والاجتماعي(٣٩).

وبذلك فان موقف السلطان محمود اراد ان يعمل كلا الطرفان الكرامية والاصناف على اخماد أي شرارة للفتنة.

كما ويعلق بوزروث على ان راي سكودار (B. Zakhoder) فيقول (ان سكودار يقترح أي في ذلك الوقت الصوفية في خراسان كانوا حقاً غطاء ديني للنشاط السياسي ضد الحاكم الغزنوي وهو محق (مصيب) في اشارته تلك ، ابو سعيد كان عنده العديد من الصلات باصناف التجار واصحاب الدكاكين... رغم ذلك هذا النوع، لم يكن طبعه معادية للغزنويون)(٤٠).

اذ يريدمن ذلك ان يصف حاله الصوفية في ظل الدولة الغزنوية وتوجهم نحو القراخانيون ضد الغزنويون وفي الواقع على الرغم مما قام به الشيخ ابو سعيد من دور في الدولة الغزنوية الا ان الامر يختلف تماماً في العصر السلجوقي فقد عمد السلاجقة الى فتح الميدان امام المتصوفة في فترة عهد السلاجقة العظام وعلا شانهم اكثر مما كان في السابق فيذكر ان هناك زيارات ولقاءات بين امراء السلاجقة وشيوخ الصوفية في عصرهم(٤١).

الشيعة:

يركز بوزورث على فئة الشيعة ودورها في المجتمع الخراساني، يذكر عنهم قائلاً (ان السادة العلويون في الجزء الاول في القرن الحادي عشر الميلادي، تمتعوا باحترام وسمعة كبيرة في خراسان مثل اجزاء اخرى من العالم

الاسلامي الشرقي هذا الاحترام مستقلاً عن العوامل السياسية... والشيعة السادة كانوا اقلية صغيرة في خراسان وخارج صنف الاسماعيله الذين ساهموا في تنظيم الدعوة الفاطمية)[٤٢].

وفي الواقع ان الوجود الشيعي في مدينة خراسان لم يكن كبيراً شانه شأن بقية الفرق الاسلامية وذلك لان المذهب الغالب كان هو المذهب السني،وعلى الرغم من هذه القلة يذكر بوزورث ان الشيعة المعتدلون تمكنوا ان يعيشوا بسلام في خراسان، والثمن لذلك كان يجب عليهم ان يشتغلوا في النشاط السياسي،وان يلحقوا انفسم الى السلطة الدنيوية بالرغم من ان السلاطين الغزنويون كانوا سنة وهم كانوا ايضاً مستعدين لتركهم[٤٣]

ولكن على الرغم من هذا الموقف من الغزنوين تجاه الشيعة الا ان السياسة العامة للغزنويون كانت ضد الشيعة بشكل عام اذ ان السلطان محمود الغزنوي كان يعمل على القضاء على الشيعة والاسماعيله والقرامطة[٤٤] ولكن ربما كانوا اقلية الامر الذي حدا بالغزنويون اتباع هذا الاسلوب معهم او خوف الغزنويون لتحول غالبية سكان المدن الخرسانيه الى المذهب القرمطي[٤٥].

يرجع بوزورث الى ماذكره ابن فندق عن العلويين في نيسابور وعن دور نقابة الطالبين ورجالها،فيقول (من خلال ابن فندق يظهر ان كيف ان العلويون جاءوا بالمرتبة الاولى في نيسابور وانتشروا الى البلدان الاخرى في خراسان مثل بيهق وكيف اسسوا لهذه المراكز المهمه مثل ضريح الامام الرضا عليه السلام، بعض الخراسانيون جاءوا من مقاطعة قزوين حيث كان الشيعة فيها قبضة قوة منذ نهاية القرن الثامن الميلادي)[٤٦] وهنا ربما النصوص الواردة عند ابن فندق قد تختلف مع تقديرات بوزورث فالاخير يؤكد انهم اقليه بينما اراء

ابن فندق توضح رايهم كانوا في المرتبة الاولى في نيسابور [٤٧]

وبشكل عام ومن خلال ملاحظات بوزروث ان الغزنويين تركوا الشيعة المعتدلون بسلام في بلاد فارس وما وراء النهر، على ان هذه السياسة لا تنطبق مع الاسماعليون ، كما يذكر بوزورث اظهروا هدفهم الخاص في تحويل الاحناف الحاكمة الى مذهبهم والسلاطين الغزنويون كانوا متلهفين لنشر المذهب السني ودعمهم للعباسيين وكانت النتيجة هي اعدام الداعي الفاطمي التاهرتي الذي ارسله الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله (٣٨٦هـ- ٤١٤هـ) الى السلطان محمود الغزنوي داعياً للمذهب الاسماعيلي[٤٨]فمن الواضح ان توجه الدولة الغزنوي كان يتعارض مع امال وطموحات الحركة الاسماعيلة فكان من الطبيعي ان تجد الاسماعيليه رفضاً مطلقاً من قبل السلطان محمود.

يرى بوزورث ان الدعوة الاسماعيليه بداءت العمل في خراسان منذ بداية القرن العاشر الميلادي بعدها كانت نشيطة في الري والجبل[٤٩]، وفي الواقع ان الانتشار الاسماعيلي تنوع في المدن الخراسانية، واصبحت الدعوة الاسماعيلية لهذه المدن منتشرة الا ان المصادر ذكرت سكان الاسماعليون المحليون المتواجدون في خراسان وصنفهم بالملاحدة وشكلوا عاملاً مهم من التاريخ العام لخراسان[٥٠] .

كما يؤكد بوزروث من ان السلطان محمود الغزنوي كان يتتبع القرامطة والاسماعيليه في حروبه للقضاء عليهم فقد تمكن في حروبه في الملتان من القبض على اكثر القرامطة الذين كانوا هناك من القضاء عليهم[٥١].

قصارا القول ان الشيعة المعتدلون ربما وجدوا التسامح من قبل الغزنويون اما الاسماعيلية والقرامطة فكانوا في حالة تعقب مستمر من قبل

الغزنويين.

اهل الذمة:

لم يعلب اهل الذمة دوراً كبيراً في خراسان خلال حقبة الدويلات المستقلة وخاصة الدولة الغزنوية بالمقارنة لدروهم في العراق وغرب ايران[٥٢]كما يصف المقدسي هذا الاقليم باحتوائه على العديد من اليهود و القليل من النصارى وبعض الطبقات الاخرى مثل الزرادشتية والبوذية[٥٣].

ولو ان بعض المؤرخين يرى ان الجماعات الوثنية التي كانت موجودة في ظل الدولةالغزنوية هي من يمثل دور اهل الذمة لكن هذا الراي يتحمل الجدل كون اصول الوثنيون قد تبتعد عن اليهودية والمسيحية

يتطرق بوزروث الى احوال اهل الذمة من مدن خراسان مؤكداً ان المسيحين في الحقبه الساسانية قد انتشروا بشكل واسع في الامبراطورية الفارسية وكان تكتلهم في معظم المدن الرئيسة في خراسان وسجستان بينما كان عددهم قليلاً في كل من بلاد ما وراء النهر وخوارزم وفي نهاية الدولة الساسانية ازداد عدد جالياتهم في هذه البلاد وكانت تمارس طقوسها الدينية مع القساوسة والاساقفة الذين كانوا يشرفون على الكنائس في هذه المدن، وهذا ما جعل تلك الجاليات تتمتع في شرق ايران بحرية واسعة على ان مدينة مرو كانت من اهم مناطق المسيحين في العهود الاسلامية حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في شرق ايران وانهم لم يشكلوا تجمعات كبيرة بل ان عددهم قل على مر العصور في خراسان[٥٤] .

هذا بالنسبة للمسيحين الذين كانوا متواجدين في مقامات خراسان ولو ان عرض بوزورث هذا اقتصر على عصر التاريخ الاسلامي المبكر ولم

يتطرق في الحديث عنهم في العصر الغزنوي ولعل سبب في ذلك لقلتهم في هذه المرحلة.

اما اليهود يؤكد بوزورث ان الجاليات اليهودية في مدن خراسان مثل بلخ ومرو بدأ ذكرها في العصور الاسلامية مع اواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وما بعدها، وطورت طقوسها الدينية وقوانينها التي كانت تميزها حتى اصبحت عددها اكثرمن المسيحين في بعض المدن الفارسية، فعرفت مستوطناتهم باسمهم فكانت اليهودية في اصفهان واخرى في اقليم جرجان وعرفت لهم مدينة باسم ميمنة وهي بين باميان والغور(٥٥)

في تقدير بوزورث ان القوى الفكرية والدينية لدى الذميين في شرق بلاد فارس كانت ضعيفة في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وذلك لانهم لم يساهموا مساهمة علمية في الحياة الثقافية اذ ما قورنت مساهماتهم في المجتمعات العراقية والمصرية، ويعزو سبب ذلك لبعدهم عن مراكز الحياة الروحية في ذلك القرن، لذا قام المسيحيون النسطوريون ببذل قصارى جهدهم في محاولات التبشير الديني في اواسط آسيا والشرق الاقصى(٥٦).

ومن الممكن قوله ايضا مع هذا الراي ان الطابع العام للحياة الدينية في بلاد فارس كان اسلامياً ابتعد عن العقائد الذمية لا بل ان العديد منهم قد تخلى عن ديانته والتحق بالاسلام، اذ يرى بوزورث ان ظهور الثقافة الاسلامية في خراسان جعلت الكثيرين من الذميين يدخلون في الدين الاسلامي(٥٧).

هذا ما كان عن احوال الذميين في بلاد فارس اما في العصر الغزنوي

فيعتمد بوزورث على ما قاله الشيخ ابو سعيد في كتاب اسرار التوحيد عن جماعات الذميين الذين كانوا موجودين في عهده والذين اظهروا تقبلاً للاسلام، اذ دخل ما يقارب اربعين نصرانياً في مدينة نيسابور الى الاسلام، كما وفي الوقت يذكر بوزورث ان غالبية الذميين كانوا يزاولون مهنة الطبابة ايام الدولة الغزنوية فاستعان السلاطين الغزنويون بالاطباء الذميين مؤكداً ان السلطان مسعود الغزنوي كان يمتلك طبيب يهودي اسمه يعقوب دانيال الذي كان من اشهر ثلاثة اطباء في بلاطة، كما كان لبهرام شاه طبيب مسيحي اسمه ابو سعد موصلي [٥٨].

الهوامش والاحالات:

(١) العمادي ، خراسان ، ص٢٧٢.

(٢) نوري،مفيد محمد (الدكتور) الكرامية حركة دينية وسياسية دراستها من خلال سير قادتها، الموصل، مجلة اداب الرافدين، كلية الاداب جامعة الموصل، العدد الاول ١٩٧١ص١٥٣.

(3) OLeary,DE Lacy,Notes On Mahud Of Ghazna,in, Islamic Culture,Hydearabad,1958,VoLXXXII,p190

(٤) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين ابي الفضل احمد بن على(ت٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، لسان الميزان، بيروت ، دار الفكر، ط٢، ٢٠٠٣، ص٤٠٠.

(٥) السمعاني، الانساب،ج٤،ص٥٩٨.

(6) OLeary, Notes On Mahud Of Ghazna –p190.

(٧) العسقلاني، لسان الميزان،ج٥، ص٤٠١ز

(٨) ابن ماكولا، علي بن هبه الله ابي نصر (ت٤٧٥هـ /١٠٨٢م)،الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب، بيروت،دار الكتب العلميه ، ط١، ١٩٩٠،ج٧،ص١٢٨ ، العسقلاني، المصدر نفسه،ج٥،ص٤٠١، بدوي ، مذاهب الاسلاميين،ص٦٦٠.

(٩) الاشعري،ابي الحسن علي بن اسماعيل (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، عني بتصحيحه هلموت ريتر،جمعية المستشرقين الالمان دارفرانز شتايز،ط ٣، ١٩٨٠ ،ص١٤١

(١٠) بوزورث، نشوء مذهب الكرامية المجلة التاريخية ص١٠٤.

(*) ابن فورك ، هو الاستاذ ابو بكر محمد بن الحسن من فورك وهو المتكلم الاصولي، عالم شافعي واديب نحوي واعظ اقام مدة بالعراق ليدرس ثم توجه الى الري فراسلوه اهل نيسابور فجاء اليهم، اتهموا الكرامية بالقرمطة فدسوا اليه السم وقتلوه.ينظر،الاسنوي ،طبقات الشافعيه،ص١٢٦ ابن عساكر، تبين كذب المفتري، صص٢٣٠-٢٣١.

(١١) ايهاب نبيل، الصراعات المذهبية ، ص١٣٢.

(١٢) بارتولد، تركستان، ص٤٣٢.

(١٣) الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل، تقديم وتحقيق احمد حجازي السقا،محمد رضوان مهنا، مصر ، مكتبة الايمان، ط١، ٢٠٠٦ ص٩٢،. وكذلك نشوء مذهب الكرامية ص١٠٤.

(14) Bosworth, The Ghaznavids. P. 185.

(١٥) نوري، الكرامية ، ص١٥٤.

(١٦) بوزورث ، نشوء مذهب الكرامية ص١٠٤. O Leary ,Notes On Mahmud ,p191

(١٧) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) الفرق بين الفرق ، بيروت دار الكتب العلمية ، ص١٦٢.

(١٨) متز ، آدم، الحضاره ألأسلاميه في القرن الرابع الهجري،ترجمه محمد عبد الهادي ابو ريده ، بيروت، دار الكتاب العربي ، ط٤، ١٩٦٧ج٢،ص٢٣٢

(١٩) بوزورث ، نشوء مذهب الكرامية ، ص٤٢، نوري الكراميه ، ص١٥٣.

O Leary, Notes On Mahmud,p, 192

(٢٠) وزورث ، نشوء مذهب الكرامية ، ص ١٠٨.

(٢١) بوزورث ، المرجع نفسه ، ص ١٠٩.

(٢٢) نوري، الكرامية ، ص١٥٦– ١٥٧.، O Leary, Notes On Mahmud,p, 191

(٢٣) بارتولد، تركستان، ص١٣٢، بوزورث، نشوء مذهب الكرامية ، ص١١١

O Leary, Notes On Mahmud,p, 192

(٢٤) بوزورث ، نشوء مذهب الكرامية ، ص١١٢، نوري، الكرامية، ص١٥٩.

(٢٥) بارتولد ، تركستان ، ص١٣٢، نوري الكرامية ، ص ١٦٠

O Leary, Notes On Mahmud,p, 192 .

(٢٦) بوزورث ، نشوء مذهب الكرامية ، ص١١٥

(٢٧) بوزورث ، نشوء مذهب الكرامية ، ص١١٩.

(28) Bosworth, The Ghaznavids. P.189.

(٢٩) العكيدي، افتخار عبدالحكيم، المظاهر الحضارية للامارة الغزنوية (٣٥٠هـ– ٥٨٢هـ) ٩٦١م– ١١٨٦م، اطروحة الدكتوراه، غير منشورة كلية التربية ابن رشد، بغداد ٢٠٠٣.ص١١٨ .

(30) Ahmad, Aziz,An Intellectual history of Islam in India ,Edinburgh University Press,1969,p22

(31) Bosworth, The Ghaznavids. P. 189.

(٣٢) نيكسلون آ.ر، الصوفية في الاسلام، ترجمة نورالدين شريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ٢٠٠٢، ص٢٧– ٢٨

(33) Bosworth the . Ibid. 189.

(٣٤) نوري، مفيد محمد (الدكتور) اعلام الصوفية في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري، الموصل، مجلة آداب الرافدين ،كلية الاداب، جامعة الموصل، العدد الثاني ١٩٧١- ص١٩٧.

(*) هو ابو اسحق ابراهيم بن ادهم بن منصور كان من ابناء الملوك في بلخ ثم تزهد، اذ خرج يوماً للصيد فاصطاد ثعلباً وهو في طلبة فهتف به هاتف يا ابراهيم الهذا خلفت ام بهذا امرت؟ فهتف ابراهيم به والله، فالهذا خلقت ولا بهذا امرت فليس الصوف بعدها ودرس عند ابو سفيان الثوري والفضيل بن عياض ومات في الشام ١٦٢هـ ينظر القشيري، ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري (ت ٤٦٥هـ) الرسالة القشيريه بيروت دار صادر ط ١ ٢٠٠٧ ص٢٦٠.

(٣٥) نيكسلون، الصوفية في الاسلام، ص٢٧.

(٣٦) نوري، اعلام الصوفية، ص٢٧.

(37) Bosworth, The Ghaznavids. P 364.

(٣٨) محمد بن المنور ،اسرار التوحيد،ص٢٠.

(39) Bosworth, The Ghaznavids. P. 193.

(40)idem , Ibidp. 194.

(٤١) العمادي،خراسان ص٢٩٣.

(42) Bosworth, The Ghaznavids. P.194.

(43) idem, Ibid p. 195.

(٤٤) ايهاب نبيل، الصراعات المذهبية ، ص١٢٦.

(45) Ahmad, Aziz,An Intellectual history of Islam in India ,Edinburgh University Press,1969,p22 ,

(46)Bosworth, The Ghaznavids. P 197

(47) ابن فندق تاريخ بيهق ص١٥٩ – ١٦٥ .

(48) Bosworth, The Ghaznavids. P 199.

(49) idem, Ibid p. 199.

(50) بوزورث ، اسماعيلية قوهستان، ص٢٢٩ .

(51) Bosworth, Ibid p.199 Ahmad ,An Intellectual history ,p22,

يذكر ابن الاثير ان السلطان محمود في غزوة الملتان قام بقتلهم وقطع ايدي الاخرين وسجن الباقين حتى ماتوا باماكنهم ينظر ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٨، ص٣٤.

(52) Bosworth, The Ghaznavids. P. 200.

(٥٣) المقدسي: احسن التقاسيم.ص٣٤

(54) Bosworth, Ibid p. 200.

(55) Bosworth, The Ghaznavids. P. 201.

عن هذه المدن ينظر المقدسي احسن التقاسيم ص ٢٩٨

(56) Bosworth, The Ghaznavids.p, 202.

(57) Ibid p. 202.

(58) Ibid. P. 202.

Abstract:

The orientalist Clifford Edmund Bosworth is regarded as one of the greatest men of the British Orientalism School for he was an orientalist specialized in the Islamic history and wrote most of his researches if not all about the history of both Ghaznavid and Seljuk States, where he addressed the important aspects which were not studied in detail, concentrating on the military and social organizations as well as the Ghaznavid and Seljuk economic activity.

This research sheds the light on the opinions and views of the Orientalist Bosworth on the religious groups and sects related to the Ghaznavid State as representing the important aspect of the social and religious life of the Ghaznavid State including the talk about (Al-Karamiya and Suffi then Shiite and Ahl Al-Thima) group. Thus, these groups played a great role in the religious life of the Ghaznavid society. He also focused in his talking on the Ghaznavid State's relationship with those sects and the Role of Sultans in gaining religious men by taking care of scholars and the educated class in the Ghaznavid society.

In view of the importance of the orientalist Bosworth's opinions, the research came to concentrate on the most important opinions and explanations he posed through his addressing the importance of those groups with respect to the importance of each group.